كراسات فكرية ١٤

مناقب السيدة فاطمة الزهراء

رضي الله عنها

سيدة نساء العالمين

تأليف/ أحمد بن محمد النصيح (أحمد بن إدريس)
حققه وعلق عليه / د. طارق أحمد عثمان

إصدارات
هيئة الأعمال الفكرية

بسم الله الرحمن الرحيم

هيئة الأعمال الفكرية

كراسة فكرية (١٤)

مناقب السيدة فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) سيدة نساء العالمين

تأليف

أحمد بن محمد النصيح

الشهير بأحمد بن إدريس

حققه وعلق عليه

د. طارق أحمد عثمان

فهرسة المكتبة الوطنية - السودان

922.1 أحمد بن محمد النصيح

أ. م . م

مناقب السيدة فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) سيدة نساء العالمين/ أحمد ابن محمد النصيح، تحقيق طارق أحمد عثمان.-ط١.الخرطوم: هيئة الاعمال الفكرية ،2006م

44 ص : 24 سم

ردمك : 99942-59-23-7

1.فاطمة الزهراء - تراجم

٢.بنات النبي ﷺ

أ. العنوان. ب. طارق أحمد عثمان (محقق).

اسم الكتاب : مناقب السيدة فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) سيدة نساء العالمين

المؤلف: أحمد بن محمد النصيح

المحقق: طارق أحمد عثمان

الناشر: هيئة الأعمال الفكرية

سنة النشر: الطبعة الأولى 2006م

رقم الإيداع: 2006/599

الرقم الدولي : ردمك :99942-59-23-7

حقوق الطبع: محفوظة

الطابعون: شركة مطابع السودان للعملة المحدودة

عنوان الناشر: الخرطوم- العمارات ش 35

تلفون :571437 - 0183- فاكس 571438 - 0183

ص.ب: 12001 - الرمز البريدي :11111

الموقع على الإنترنت: www.fikria.org

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
شكر وعرفان	٧
المقدمة	٩
أهمية المخطوط	٩
ترجمة المؤلف	١٤
وصف المخطوط	٢٠
الخطبة	٢٣
الفصل الأول: نسب السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)	٢٥
الفصل الثاني: في ذكر ولادتها ونشأتها	٢٦
الفصل الثالث: في زواجها وما ورد فيه	٢٧
الفصل الرابع: فيما ورد في فضلها من الأحاديث والكرامات وأقوال العلماء	٣٠
الفصل الخامس: في وفاتها ومحل قبرها وماخلفت من الذرية	٣٣
الفصل السادس: في الخاتمة بالدعوات المرجية	٣٦
مراجع ومصادر الدراسة	٣٩
ملحق بعض الأحاديث الواردة في فضل فاطمة وعلي في كتب الصحاح	٤١

الإهداء

إلى بروفيسور /حسن مكي محمد أحمد

(حفظه الله ورعاه)

شكر وعرفان

أود أن أتقدم بخالص شكري لبعض الذين قاموا بمساعدتي في إتمام هذه الدراسة، وعلى رأس هؤلاء الأستاذ محمد أمين محمد عثمان الميرغني والأستاذ علي هاشم علي، والذي قدم لي الكثير في هذا الجانب، وشكري الخاص للأستاذ عبد الوهاب الطيب البشير الذي ظل يشجعني ويعينني، وللدكتور خالد خطاب عظيم امتناني وتقديري الخالص للأخوين ياسر خليفة وصالح محمد علي الذين قاما بطباعة مسودة الدراسة.

المحقق

المقدمة

أهمية المخطوط:

تعود أهمية هذا المخطوط إلى عدة أمور، أبرزها أن كاتبه سوداني كتبه في القرن التاسع عشر في فترة حياة ابني السيد محمد الحسن الميرغني وهما السيد محمد عثمان الثاني (الأقرب) والسيد أحمد وبناء على توجيه من السيدين الكريمين، إن اهتمام أحد العلماء الأجلاء السودانيين بمثل هذا الموضوع يدعونا إلى التأمل في قيمته وجدواه، فهذا المخطوط ربما كان أول مخطوط سوداني يتناول هذا الموضوع، إن لم يكن هو الأوحد في هذا الإطار، إن اهتمام السودانيين بالكتابة والتأليف في هذه المسائل ظل ضعيفاً – بشكل نسبي – إلى وقت كتابة هذا المخطوط ولم يظهر لدى العلماء عناية بالتصنيف في هذا المجال إلا على نحو محدود، وإن كنا نجد إشارات عامة لبعض المؤلفات التي كتبها السودانيون في فترات سابقة في كتاب الطبقات لصاحبه محمد النور بن ضيف الله ومحققه بروفيسور يوسف فضل حسن، وقد تناولت هذه المؤلفات عدداً من العلوم الدينية في جوانب مختلفة، نحو التصوف وفي هذا نجد إشارة إلى كتابات بعض العلماء السودانيين من أمثال عبد الرحمن بن جابر الذي ألف كتاب (ترشيد المريدين في علم التصوف)[1]، ومحمد ولد هدوي الذي ألف كتاب (صفة الفقير)، ثم هناك كتب المناقب نحو مخطوط مناقب الشيخ إبراهيم القلوباوي لابنه الشيخ مدني، وفيه يصور المؤلف مناحي الحياة الروحية والاجتماعية والثقافية في منطقة الرباطاب، وإشارة إلى أعلام لم يرد ذكرهم في الطبقات، والمخطوط موجود بدار الوثائق السودانية[2]، غير أن التأليف أكثره أنصب على كتب الفقه عبر تقديم شروح وحواشي له بالأخص الفقه المالكي، ونجد في هذا الإطار كتابات حمد السيد، وشمو بن محمد عدلان الشايقي[3] وضيف الله بن علي الذي شرح على مختصر خليل حاشية[4]، كما توجد بعض المؤلفات في شرح بعض كتب العقيدة نحو كتاب أم البراهين والسنوسية وكتب بعضهم كتاباً في نسب العرب[5] وهو إبراهيم ولد أم رابعة.

---

(١) محمد النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات في خصوص الأنبياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، حققه وعلق عليه وقدم له بروفيسور، يوسف فضل حسن، ط أولى، دار الطباعة، جامعة الخرطوم ١٩٧١م، ص .

(٢) محمد إبراهيم أبو سليم (بروفيسور)، (تحقيق) كتاب في طريق أهل الله والسير به ساهل، لمؤلفه صاحب الربابة إسماعيل بن الشيخ مكي الدقلاش، الطابعون شركة دار الحكمة للطباعة والنشر (بدون تاريخ)، ص ١١.

(٣) محمد النور ضيف الله، مرجع سابق، ص ٢٢٣.

(٤) نفسه، ص ٢٤٥.

(٥) نفسه، ص ١٠٤.

تمت هذه الكتابات في مرحلة سابقة في فترة ما بعد قيام الدولة السنارية في السودان في ١٥٠٥م وربما قبلها كذلك، أما في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين فإن المجتمع السوداني عرف العديد من الكتابات خاصة من الفرقتين الكبيرين في السودان، الطريقة الختمية والطريقة السمانية، وبرزت لدى مشائخ هاتين الطريقتين العديد من المؤلفات، فلدى السمانية كانت هناك كتابات الشيخ أحمد الطيب البشير مؤسس الطريقة السمانية في السودان (ت ١٨٢٤)، ومؤلفات عبد المحمود نور الدائم حفيد الشيخ أحمد الطيب، والذي كتب في معظم صنوف المعرفة الإسلامية وحتى في مجال علوم اللغة العربية، وفاقت مؤلفاته ثمانين مصنفاً فُقِد جانب كبير منها، أما الطريقة الختمية فلقد توفر لدى مشائخها اهتمام بالتأليف تجلى في مصنفات السيد محمد عثمان (الختم) الميرغني (ت ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧م) والسيد جعفر الصادق بن محمد عثمان (الختم) وغيرهما.

إن التقلبات العنيفة التي مر بها السودان في الفترة من النصف الثاني من القرن الثامن عشر وعلى مدى القرن التاسع عشر، والحروب المحلية والعنف الذي استشرى في التعامل بين الحاكم والمحكوم، والمجاعات والظروف الطبيعية والاجتماعية التي أدت إلى هجرات الأفراد والجماعات كل ذلك أضر بمسار التعليم والتعلم والمحافظة على التراث[1] أضف إلى ذلك الثورة العنيفة التي شنتها الثورة المهدية على العلم والعلماء باعتبار أن مجيء المهدي قد نسخ مجمل تراث الإسلام لأن محمد أحمد بن عبد الله (مهدي السودان) – فيما أعتقد – انتقل بالإسلام وصار ما يتلقاه بالإلهام أو بالملك الموكل أو بالأخذ المباشر يقظة عن الرسول ﷺ هو الشريعة الحقة، وقد ألغي المذاهب والطرق وأبطل علوم الأولين وأمر بحرق الكتب وجعل مورد الناس هو الأخذ عليه وحده، وأخذ من بعده الخليفة عبد الله الأمر بذات التشدد مع العلماء، فتخلص هؤلاء من كتبهم خوفاً أو أخفوها عن الأعين، ولكن هذا أيضاً لم يسلم من العطب والتلف، ولدينا أكثر من شاهد في هذا الأمر، فإن النسخة الوحيدة التي سلمت من قصيدة الشيخ محمد شريف نور الدائم كانت مدفونة في الأرض وتلفت أطرافها بفعل ذلك[2]، وتعرض الختمية كذلك إلى هذا الأمر فدفنوا مؤلفات مشائخهم خوفاً على أنفسهم وعليها من أنصار الثورة المهدية، فقد قامت السيد فاطمة بنت السيد محمد الحسن الميرغني

(١) محمد إبراهيم أبو سليم (بروفيسور) (تحقيق) كتاب في طريق أهل الله، مرجع سابق، ص ١.
(٢) نفسه، ص ٣.

بإرسال خطاب إلى الفكي أحمد محمد صالح النضيف تعلمه فيها أنها وصلت إلى منطقة شندي، وأنها وجدت الكتب التي بحوزتها قد تعرض بعضها للتلف نتيجة لدفنها، وطلبت منه في هذا الخطاب أن يقوم بنسخ بعض مؤلفات الختمية وإرسالها لها منها كتاب (شرح الراتب) و(شرح التوسلات) و(شرح البراق)[1].

وكان هذا هو الجو الذي كتبت فيه العديد من المصنفات السودانية وهو بالطبع جو غير مساعد على التأليف، وبيئة غير صالحة للكتابة، وكما ذكرنا في بداية هذه المقدمة أن هذا المخطوط تأتي أهميته الخاصة من تفرد موضوعه واختلافه، فبينما اهتم أكثر السودانيين بالكتابة فيما يمثل الحاجة الحقيقية للمجتمع السوداني المسلم البسيط آنذاك، فقد كان المجتمع بحاجة إلى مؤلفات في الفقه ومعنى التوحيد وفهم أصول الإسلام، يأتي هذا المخطوط بمنحى جديد في اتجاه مختلف لما عليه غالب اهتمام السودانيين،وهذا يبرز التميز الذي اتسمت به الطريقة الختمية التي حملت معها اتجاها جديداً في فهم الإسلام وربطه بآل البيت، وهو اتجاه ظل محدوداً لدي السودانيين.

وربما كان هذا الأمر أو هذا الاتجاه يعكس عناية آل الميرغني وحفاوتهم بعدد من القضايا تعتبر جديدة على المجتمع السوداني، وربما فسر هذا الاهتمام في وقت متأخر على أنه ربط وثيق بين الختمية وبين الشيعة والسادة المراغنة وهذا نجده قوياً في كتابات الدكتور أحمد محمد أحمد جلي والذي وضع مؤلفاً عن طائفة الختمية وصلتها بالتشيع ربط فيه بين موقف الختمية ومقولات الشيعة في الإمامة وزعم فيه أن الختمية قد استندوا على الأدب الشيعي وحجج الشيعة وبراهينهم لإثبات أحقية أهل البيت بالولاية والإمامة سعياً منهم لإثبات هذا الحق لمشائخهم، وكان الدكتور جلي قد مضى في نفس هذا الطريق عندما وضع مؤلفه الآخر والذي عنوانه: (طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها) وحاول في مؤلفه هذا كذلك أن يربط بين فكرة قدوم المراغنة إلى السودان وبين مجيء الاستعمار، وعلى الرغم من أن هذا المقام ليس المكان الأمثل لبيان ضعف الآراء التي ذهب إليها الدكتور جلي، إلا أننا يمكن أن نقول إن عدداً من آرائه لا يعتد بها في هذه الناحية، على أن المراغنة من علماء السنة في عصرهم ولا يربطون في آرائهم ومعتقداتهم التي قبلوا بها بينهم وبين الشيعة إلا أن عنايتهم

(١) طارق أحمد عثمان (دكتور)، الحامداب، الأرض والحياة والناس، ط أولى، سلسلة إصدارات سد مروي، إصدارة رقم(١)، ٢٠٠٤م، ص ٥٣.

الفائقة بآل بيت النبي ﷺ والتي مردها في الغالب إلى أنهم يعتبرون أنفسهم من هذه السلالة، عنايتهم تلك جعلت منهم جماعة - قبلوا هذا الأمر أو لم يقبلوه - مرتبطة بالعالم الإسلامي الشيعي على وجه من الوجوه، وقد تمثل هذا أولاً كما ذكرنا في اهتمامهم بآل البيت ويأتي على رأس هذا الاهتمام إظهار التقدير الخاص للسيدة فاطمة (عليها السلام) ليست باعتبارها جدة لهم فحسب، وإنما يتدخل هذا الأمر في وضعها المتميز في الفكر الإسلامي الشيعي بصفة خاصة، فأهمية السيدة فاطمة عليها السلام تنبع من تفسيرهم لبعض آيات القرآن الكريم وبعض أحاديث النبي ﷺ التي تمنح السيدة فاطمة عليها السلام خصوصية وتميزاً على من سواها وعلى الأقل على بقية أخواتها من بنات النبي ﷺ ، وقد أخذوا كل هذه المعاني من المصدرين الأولين - كما أسلفنا - القرآن والسنة، كما أخذوا من كتب الصحاح الخاصة بأهل السنة نحو البخاري ومسلم وابن ماجة وغيرهم، ونرى في هذا اتجاهاً توفيقياً واضحاً، وعلى الرغم من أن عدداً من علماء الإسلام لديهم توقفاً كبيراً في مسألة أخذ السنة من كتب السنة الخاصة بالشيعة، إلا أن المراغنة في ظني لم يتوقفوا عند ذلك، فأخذوا من كتب السنة جميعها تلك التي أقامها أهل السنة والأخرى التي هي عند الشيعة وفي هذا تسامح كبير بالنظر إلى ما نجده في العالم السني.

إلا أن الأخذ عن كتب الشيعة ليس غالباً لدى أتباع الختمية، كما سيلاحظ القارئ الكريم من هوامش التحقيق لهذا المخطوط، فمعظم هذه الأحاديث رويت أولاً في كتب الصحاح - كما ذكرنا - ثم في مؤلفات أخرى نحو أسد الغابة لابن الأثير، والدر المنثور للسيوطي، وذخائر العقبي للطبري، وحلية الأولياء للأصبهاني، وغيرها. إن الاهتمام بالسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أمر يختص بجميع المسلمين على اختلاف طوائفهم بالنظر إلى الأحاديث الواضحة في فضلها ومكانتها، إلا أن هذا الاهتمام يبدو أعظم وجوداً وأثراً إذا ما تأملنا مقالات الشيعة في هذا الجانب، وقد أصبح هذا الأمر مع تقادم الأيام كأنما عقيدة خاصة بالشيعة وحدهم وليس هذا صحيحا.

لم يكن هذا المخطوط الذي بين أيدينا هو الأول في العناية بمنزلة ومكانة السيدة فاطمة عليها السلام لدى الختمية، فلقد عرف الختمية من خلال مؤلفات السيد عبد الله بن إبراهيم ميرغني (ت ١١٩٣هـ - ١٧٧٩م) والذي كتب رسالة بعنوان (الدرة اليتيمة في بعض فضائل السيدة العظيمة) والسيد عبد الله الميرغني هو جد السيد محمد عثمان (الختم) الميرغني

مؤسس الطريقة الختمية في السودان، وقد وردت ترجمة له في كتاب الجبرتي عجائب الآثار في التراجم والأخبار (٢/ ٢٤٠) كما أورد تلميذه السيد مرتضى الزبيدي ترجمة له في معجمه، وكان قد لازمه وتتلمذ على يديه أولاً بمكة ثم بالطائف[١].

وقد اشتهر السيد عبد الله بن إبراهيم الميرغني أنه كان يحتجب عن الخلق زمناً للعبادة، حتي صار يلقب بالمحجوب وقد ورث عنه هذا اللقب بعض من أحفاده فبرز بينهم من تسمى بهذا اللقب، كما ترجم له الشيخ يوسف النبهاني في كتابه جواهر البحار في فضائل النبي المختار صلى الله عليه وسلم الذي أخذ ترجمته عن الجبرتي، وكان السيد عبد الله يلقب كذلك بعفيف الدين[٢].

للسيد عبد الله العديد من المؤلفات منها: مصنفه في فرائض وواجبات الإسلام لعامة المؤمنين ذكره الجبرتي وفيه مسائل في العقيدة والفقه شرحها وتكلم عنها[٣] وكتاب: (الإيضاح المبين بشروح فرائض الدين) وقد طبع في بولاق سنة ١٣١٥ هـ في ١١٢ صفحة، وكتاب: (السهم الداحض في نحر الروافض) وقد قام بتأليفه في سنة ١١٦هـ، وكتاب المعجم الوجيز في أحاديث النبي ﷺ اختصره من الجامع الصغير وكنوز الحقائق، وقد طبع شرحه المسمى الذهب الإبريز لصاحبه محمد بن خليل بن إبراهيم القاوقجي، كما له ديوان شعر في جزأين طبع سنة ١٣٣٠هـ في ١٤٤ صفحة، كما له مؤلف في مناقب سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه بعنوان (الأنوار القدسية) وهو مخطوط، ومخطوط آخر بعنوان إتحاف السعداء بمناقب سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه تعالى، ومنه نسخة بمكتبة جامعة الرياض وأخرى بالظاهرية في دمشق وثالثة في مكتبة الحرم المكي، وغيرها من المؤلفات. أما مؤلفه (الدرة اليتيمة) فقد جعله في ذكر فضائل السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وفي عرض جانب من سيرتها، وتكلم عن مكانتها ومنزلتها مبيّناً الأحاديث الواردة في هذا الشأن، وقد قام بتحقيق هذا المؤلف السيد محمد سعيد الطريحي، وطُبع المؤلَّف بتحقيقه في لبنان

---

(١) عبدالله المحجوب الميرغني، تحريض الأغبياء في الاستغاثة بالأنبياء والأولياء، ضمن الرسائل الميرغنية في آداب الطريقة الختمية، ط ثانية، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٧٩، ص ٤.

(٢) يوسف بن إسماعيل النبهاني، جواهر البحار في فضائل النبي المختار، صلى الله عليه وسلم، الجزء الثاني، مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٠م، صفحات ٤٤- ٤٥.

(٣) محمد سعيد الطريحي (تحقيق) كتاب الدرة اليتيمة في بعض فضائل السيدة العظيمة، لمؤلفه عبد الله بن إبراهيم ميرغني، ط أولى، بيروت مؤسسة الوفاء، ١٩٨٥، ص ٨.

في سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م[١]. وقد اعتبر السيد محمد عثمان (الختم) الميرغني حفيد السيد عبدالله ميرغني، الطريقة الميرغنية والتي أسسها جده إحدى الطرق التي بنى عليها طريقته واستمد منها أفكاره ومدده الروحي بالإضافة إلى طرق أخرى منها النقشبندية والقادرية والجنيدية والشاذلية.

ترجمة المؤلف:

المخطوط الذي بين أيدينا قام بتأليفه الشيخ أحمد بن محمد النصيح، المشهور بأحمد بن إدريس، تشبها وتبركا باسم السيد أحمد بن إدريس المغربي والذي ينتهي نسبه إلى إدريس الأكبر مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب والذي يتصل نسبه بالحسن بن علي رضي الله عنهما[٢]، وقد ولد السيد أحمد بن إدريس المغربي في سنة (١١٦٣هـ - ١٧٥٠ م) وتوفي في سنة ١٢٥٣ هـ - ١٨٣٨م)، وقد عاش في مكة لمدة أربعة عشر عاما حيث قابل هناك تلميذه السيد محمد عثمان الختم الميرغني والذي تعرف إليه بواسطة عبدالرحمن الأهدل وقد أخذ عنه بعض الأوراد فأرشده بدوره إلى أستاذه أحمد بن إدريس الفاسي[٣] ويعتبر السيد محمد عثمان (الختم) أبرز تلاميذ السيد أحمد بن إدريس الفاسي إلى جانب آخرين، منهم إبراهيم الرشيد ولد في سنة ١٨١٢ م بمنطقة الشايقية، ومحمد المجذوب قمر الدين من المجاذيب بشمال السودان ومحمد بن علي السنوسي وغيرهم ممن كان لهم أعظم الأثر في نشر ثقافة الإصلاح والتغيير الاجتماعي علىأساس الإسلام في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين، وقد جاء السيد محمد عثمان (الختم) إلى السودان بناء على توجيه أستاذه ابن إدريس الفاسي، ونشر في أثناء ذلك تعاليم أستاذه، كما خطط وعمد إلى قيام ونشر طريقته الطريقة الختمية التي عمت أجزاء من بلاد السودان وصعيد مصر وأرتريا والحبشة، وقد كان معظم روادها من شمال السودان في مناطق السكوت والمحس والبديرية وفيما بعد الشايقية نتيجة لمجهودات السيد محمد الحسن بن محمد عثمان الختم، ومناطق في غرب السودان في بارا والأبيض وفي شرق السودان.

أما أحمد بن محمد النصيح، أو أحمد بن إدريس السوداني، والذي ينتمي إلى جماعة

---

(١) نفسه، صفحات ٨، ٩ ، ١٠، ١١.

(٢) يحيى محمد إبراهيم (دكتور) مدرسة أحمد بن إدريس المغربي وأثرها في السودان، ط أولى، بيروت، دار الجيل ١٩٩٣م، ص ٤١.

(٣) نفسه، ص ٣٤٥.

الرباطاب الذين هم فرع من المجموعة الجعلية، المجموعة الثانية، في القبائل العربية في السودان، وإليها يرجع عدد وافر من هذه القبائل نحو الشايقية والمناصير والميرفاب والجموعية وغيرهم، ويري أفراد هذه المجموعة أنهم ينتمون إلى سيدنا عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما)، وليس بين أيدينا ترجمة وافية للمؤلف غير بعض إشارات ملتقطة من هنا وهناك، فهو خليفة الخلفاء أحمد بن إدريس بن محمد النصيح الرباطابي – ويمكننا في ما يلي من حديث أن نطلق عليه أحمد بن إدريس الرباطابي – وخليفة الخلفاء لقب أو رتبة روحية وإدارية في الطريقة الختمية، ومعناها كبير الخلفاء أو كبير النقباء القائمين على أمر الطريقة والمشرفين عليها والذين يتابعون نشاطها الروحي والفكري والاجتماعي في هيكل إداري أساسه ولبنته الحضرة وهي نظام أشبه بنظام الأسرة في حركة الأخوان المسلمين أو الخلية التي تكون أساساً للعمل، وفي كل منطقة من مناطق الختمية يوجد خلفاء.

وكان السيد محمد عثمان (الختم) يقول: (خليفتي كذاتي) [1] أي هو ممثل عنه في منطقته والناطق الرسمي باسمه في تلك المنطقة وخليفة الخلفاء يكون تحته عدد من الخفاء، ومقامه أعلى من مقامهم، وكما قلت فإن سيرة أحمد بن إدريس الرباطابي التي بين أيدينا مقتضبة جداً، ونجد في مقدمة كتابه (الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية) تعريف مختصر به: (هو خليفة خلفاء القطب) السيد محمد الحسن الميرغني الخليفة الملقب بأحمد ابن إدريس، ولد بمدينة أتبرا بقرية السيالة حفظ القرآن على يد والده الخليفة الملقب بالنصيح خليفة خلفاء (الإمام) السيد محمد عثمان الميرغني (الختم) بشمال السودان بجهات شندي وأتبرا وبربر والرباطاب، وهو الذي سلك الطريق على يديه بأمر (الختم) أغلب الختمية بتلك الجهات، وقد توفي الخليفة أحمد بن إدريس طيب الله ثراه سنة ١٣١٦ هـ بسواكن بشرق السودان [2].

هذه الترجمة الموجودة أوردها حفيد أحمد بن إدريس الرباطابي للتعريف به، ونجد في متن كتابه الإبانة لمحات أشار إليها المؤلف تعطينا فكرة أكبر عنه وعن أسرته وعن اتصاله وقربه بأستاذه السيد محمد الحسن بن محمد عثمان (الختم)، فمن ذلك أورد ترجمة

---

(١) محمد أحمد حامد، الختمية العقيدة والتاريخ والمنهج، ط ثانية، الخرطوم، دار المأمون ١٩٨٧م، ص ١٣٨.

(٢) أحمد بن إدريس بن محمد النصيح، مقدمة الكتاب، ص ج.

محدودة لوالده ذكر فيها أنه خليفة خلفاء السيد محمد عثمان (الختم) بجهة أتبرا، ويحكي عن والده أن السيد (الختم) كان يخاطبه بخليفة خلفائي من فازوغلي إلى الإسكندرية كما كتب إليه بيتين من الشعر جاء فيهما[١] :

يا نصيح القوم دم بنصيحة ولازم لذكر الله صبحاً كذا مسا

وكن عاكفاً فوق التلاوة يا فتى ووالي لمن والى وجانب لمن أسا

كما ذكر أن أستاذه محمد الحسن الميرغني كان يقول في والده بعد موته إنه – أي محمد الحسن – رأى خيمة عظيمة من نور تحت الفراش فقلت لمن هذه الخيمة؟ فقالوا: لخليفتكم محمد النصيح[٢] وقد أراد ابن إدريس من ذلك أن يبين منزلة والده عند السادة المراغنة، وقد أخذ والده لقب (النصيح) الذي التصق باسمه من السيد محمد عثمان (الختم)، وكان عادة الختم أن يلقب المقربين من أتباعه بألقاب ذات دلالات صوفية نحو النقيب والمبشر والصافي والصفوة وغيرها، وفي الواقع لقد كانت لأسرة النصيح منزلة عظيمة عند آل الميرغني، ونجد هذا أيضاً في كتاب الإبانة حيث يذكر ابن إدريس الرباطابي، أن عمه إبراهيم وقد كان فقيهاً من تلاميذ السيد (الختم) بل ومن الملازمين لخدمته وسافر معه إلى كسلا[٣].

كما تحدث في نفس المصنف عن جده أنه كان من المهتمين بأمر العلم الشرعي، وقد درس مختصر خليل في الفقه المالكي على يد الشيخ يوسف الطريفي من مشائخ القادرية في السودان [٤]. لقد كانت منزلة أحمد بن إدريس الرباطابي كبيرة عند آل الميرغني، فلقد كان من أبرز تلاميذ السيد محمد الحسن الميرغني وظل لفترة يصلي إماماً بمسجده الشهير بكسلا حتى في صلاة الجمعة[٥]، كما لازم السيد محمد الحسن بتلك المنطقة وقد شهد معه أحداث ثورة الجهادية السود ضد الحكومة في سنة ١٢٨١هـ، وذكر في هذا الإطار أن الحكومة التركية أرسلت إلى السيد محمد الحسن ليوقف ثورة الجنود، فحضر وطلب من المقاتلين أن يكفوا عن القتال فامتثلوا لأمره لمكانته عندهم، وعدها ابن إدريس من كرامات السيد محمد الحسن[٦]. وحادثة ثورة الجنود السودانيين ثابتة في تاريخ السودان، فلقد جاء ضمن الوثائق التي اعتمد عليها الدكتور عبد العزيز أمين عبد المجيد في كتابه التربية في السودان، الجزء

(١) نفسه، ص ٢٦.
(٢) نفسه، ص ٢٧.
(٣) نفسه، ص ٧٣.
(٤) نفسه، ص ٧٥.
(٥) نفسه، ص ٦٤.
(٦) نفسه، صفحات ٥٧، ٥٨.

الثالث أن السيد الحسن الميرغني قد اجتهد في إخماد الفتنة التي وقعت بكسلا وأظهر غيره في ذلك، والوثيقة كتبت في ٨ رمضان سنة ١٢٨٦ بعد وفاة السيد الحسن[١].

ثقافته:

لا يتضح من خلال الترجمة المذكورة عن المؤلف أنه تلقى أبواباً من العلم سوى حفظه للقرآن، ولكن المطلع على شعره ولغته في الكتابة، وأسلوبه في التصنيف يدرك أنه ربما طالع علوماً أخرى غير القرآن، ويتأكد لنا من خلال النظر إلى كتاباته، كذلك أنه واسع الاطلاع عظيم الثقافة فيما يتصل بمؤلفات الصوفية خاصة، فيما كتبه مشائخه فترد في كتاباته إشارات إلى أقوال ابن عربي وابن الفارض وابن يزيد البسطامي[٢]، كما لديه معرفة واسعة بمؤلفات محمد عثمان (الختم) التي ذكر منها جانباً وتحدث عنها حديث القارئ المدرك لما قرأ، وقد وصفها بأنها (كثيرة العدد، غزيرة المدد، محمدية السند، إلهية المشهد) وقال إن (الختم) لايؤلف تأليفاً (إلا بإذن صريح محمدي ووارد إلهي أحمدي)[٣] كما اطلع على مؤلفات محمد سر الختم بن محمد عثمان (الختم)، وذكر منها شرح (النور البراق في مدح النبي المصداق لمحمد عثمان (الختم)[٤]، كما ذكر جانباً من مؤلفات بعض ممن أفاد من السيد (الختم) وأخذ عليه، نحو الشيخ إبراهيم الباجوري من علماء مصر[٥].

مؤلفاته:

يعتبر أحمد بن إدريس الرباطابي أبرز من وثقوا لتاريخ الطريقة الختمية في السودان، ولديه مصنفه الأهم في هذا الجانب (الإبانة النورية في شأن الطريقة الختمية) والذي طبع أولاً بواسطة المكتبة الإسلامية في العام ١٩٨٢م من نسخة خطية وجدت بمكتبة السيد على الميرغني (ت ١٩٦٨م)، ثم طبع مرة أخرى بتحقيق من بروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم (رحمه الله)، إلا أن النسخة التي اعتمد عليها أبو سليم كانت نسخة ناقصة حيث أسقطت العديد من صفحاتها، كما أن التحقيق وردت فيه بعض الأخطاء فيما يتعلق بالترجمة لبعض الشخصيات التي ورد ذكرها في متن المخطوط، إلا أنه في خلاصته يمثل جهداً كبيراً، من

---

(١) عبد العزيز أمين عبد المجيد (دكتور)، التربية في السودان والأسس الاجتماعية والنفسية التي قامت عليها – مجلد الوثائق – من أول القرن السادس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر، القاهرة، الطبعة الأميرية ١٩٤٩، ص ١٧٨.

(٢) أحمد بن إدريس الرباطابي، الإبانة، مرجع سابق ، صفحات ١٨، ٨٠.

(٣) نفسه، ص ٨٢.

(٤) نفسه، ص ٨٧.

(٥) نفسه، ص ٣٩.

عالم عظيم له دراية واسعة بتاريخ السودان، لكن يؤمل في هذا الإطار أن يظهر تحقيقاً أشمل وأوفى لأكبر سفر في تاريخ الختمية، وعلى الرغم من أهمية هذا المؤلف إلا أن بعض الذين كتبوا في تاريخ الختمية لم يتعرفوا إليه ولم ينظروا فيه عند كتابتهم، من هؤلاء جون فول[1].

وقد استفاد بعض الناشرين من المعلومات الواردة في هذا الكتاب فاقتطفوا منها جزءاً نشروه في كتاب منفصل من ذلك الكتاب الخاص بالسيد الحسن وعنوانه: (مناقب السيد محمد الحسن الميرغني أب جلابية)، ونشره محمد زغلول الوطني. وللسيد أحمد بن إدريس الرباطابي مؤلفات أخرى نحو مصنفه (الدعاوى المنزهة لروح سادتنا المراغنة آل بيت النبي) ولم أطلع عليه وقد أشار لي به الأستاذ علي هاشم علي، وهو من الناشطين في الاهتمام بجمع والعناية بتراث الختمية العلمي، وقد أشار إلى هذا المخطوط بروفيسور أبوسليم، وذكر أنه موجود بجامعة (برغن) بالنرويج، ولكنه رأى أنه نسخة أخرى من ديوان ابن إدريس الرباطابي، وقد اعتمد في هذا على إشارة من الدكتور علي صالح كرار، وقال إنه لا يدري إن كان يتضمن كل شعره أم بعضه، كما اعتبر أبو سليم عدداً من المؤلفات التي لم يرد منها إشارة إلى أن صاحبها هو ابن ادريس الرباطابي، إلا أنه عدها من مؤلفاته وهي مقدمة من تاج التفاسير، وقد طبعت أيضاً بمعزل عن تاج التفاسير وأسلوبها كما رأى أبو سليم يدل على أن كاتبها هو ابن إدريس، وكتاب مناقب السيد محمد عثمان (الأقرب) ابن السيد محمد الحسن وهو يرد في كتاب أبطال الختمية، وحجمه ثمانون صفحة، وقد نشره زغلول محمد الوطني ويتضمن مناقب السيد الحسن (صفحة ١١- ٣٢) ومناقب محمد عثمان (صفحة ٣٣- ٧٩)، ولم أطلع عليه.

أما ديوان ابن إدريس والذي عنوانه: (ديوان الطود الراسخ والعلم الشامخ) فإن أبا سليم يرى أنه طرف من الديوان وليس كل شعر ابن ادريس، والديوان موجود بدار الوثائق القومية بالرقم ٢٨٦/٢٤/١ متنوعات، ويتكون من تسع أوراق بالحجم الكبير ويتضمن قصائد مجموع أبياتها ٣٦٢ بيتاً[2].

يعتبر أحمد بن أدريس الرباطابي كذلك من أبرز شعراء الختمية الذين دبجوا القصائد

(١) طارق أحمد عثمان، الطريقة الختمية في السودان، إصدارات مركز البحوث والدراسات الإفريقية، ١٩٩٨، ص، ب ٢٤٦٩.

(٢) - محمد إبراهيم أبو سليم (بروفيسور)،(تحقيق) الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية، لمؤلفه خليفة الخلفاء أحمد بن أحمد المشهور بابن إدريس الرباطابي، ط أولى، بيروت دار الجيل ١٩٩١م، ص ٣٧.

في مدح آل الميرغني، لتنشد بعد ذلك بواسطة الأتباع، خاصة تلك التي تبرز مناقبهم وتشهد بفضلهم، وهو يكثر من إيراد أشعاره في مؤلفاته ويستشهد بها في عدد من المواضع.

ويكثر في قصائده من التوسل بآل الميرغني كعادة المتصوفة في التوسل بشيوخهم وطلب النصرة، وربما كذلك من أوضح ما عرضهم لانتقاد خصومهم، كما تتضمن قصائده على إشارات صوفية عميقة، ودلالات باطنية تبين أطلاعه الوافي على أصول التصوف الفلسفي، وفيما يبدو أنه متأثر – في إطار كتابته للشعر – بطريقة السيد محمد عثمان (الختم) في النظم، وربما تأثر كذلك بمنهج السيد جعفر الصادق بن محمد عثمان (الختم)، والذي يعد أوضح شاعر في بيت الميرغني، وله ديوان في مدح النبي ﷺ عنوانه: رياض المديح وجلاء كل ذي ود صحيح وشفاء كل قلب جريح في مدح النبي المليح[1]، وشعر ابن ادريس شعر جيد في موسيقاه وجرسه، لكن تعتريه بعض العيوب الواضحة، إما في الكسر الذي تجده في بعض أبياته، أو في مما يعرف بعيوب القافية وحرف الروي، نحو الإقواء وغيره، كما أنه حشد في شعره عدداً كبيراً من المعاني الصوفية وأدخلها إدخالاً وهذا أفسد عليه جانباً من شعره وقاده إلى عيب التعقيد والمعاني المركبة، على جهة العموم إن شعره مختلف عن الأشعار التي وجدت عند السودانيين في القرنين اللذين سبقا ابن إدريس، فنحن نلاحظ التطور الكبير في شعره، بالنظر إلى ما نظمه أولئك.

قال يمدح السيد محمد الحسن:

منى سلام بذكر الله مقرون ... على الإمام الذي يسمو به الدين

شمس الهداية بحر الجود مرحمة ... الرحمن حبر بسر الله مشحون

فلك الكمال الإلهي الذي فخرت ... جاء الحياة به والسين والنون

ما زال دوماً مدى الأوقات مقتفياً ... بحر الحقائق قلب الحق يس

غيث الأرامل يعسوب الفضائل من ... له على فلك العلياء تمكين[2]

---

(١) – جعفر الصادق الميرغني، الديوان الكبير المسمى، رياض المديح وجلاء كل ذي ود صحيح وشفاء كل قلب جريح في مدح النبي المليح، صلى الله عليه وسلم، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٢ هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) – أحمد بن إدريس بن محمد النصيح، الإبانة النورية، مرجع سابق، ص ٦٨.

وصف المخطوط:

يقع المخطوط في (٢٣) صفحة من الحجم المتوسط ١٧× ٢٣ سم، ومسطرة المخطوط ثابتة لا تتغير، فهي ١٤ سطراً في كل صفحة كتبن بعناية ودقة، ومظهر الترتيب فيها واضح، الصفحة الأولى هي صفحة العنوان بدايتها: (هذه مناقب السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين،.) وفي نفس الصفحة ألصقت ورقة كتب عليها اسم (إبراهيم ميرغني) ويبدو أنه مالكها السابق، وهو من آل الميرغني فهو أخ السيدة فاطمة بنت عبد الله المحجوب صاحبة المخطوط، واشتهر بلقب (العزب) أي الأعزب إذ مات ولم يتزوج، وقد دفن أولاً بمدينة حلفا القديمة، ثم نقل رفاته إلى حلفا الجديدة، والنسخة التي اعتمدت عليها، يوجد أصلها لدى الأستاذ علي هاشم علي وهي من مقتنيات جده الخليفة علي أحمد علي، حيث وجدت في مكتبته، وكنت قد حصلت على صورة سابقة من ذات المخطوط ونسخ كذلك من تلك النسخة، من الأستاذ أحمد عبد الله عثمان وهو كذلك من إحدى بيوتات الختمية المعروفة في شمال السودان، أما أسرة الأستاذ علي هاشم فهي أسرة ختمية عريقة ايضاً وتعود جذورها إلى قبيلة الشايقية فرع كنانة، وسكنهم الأصلى في منطقة نوري بالقرب من مروي في شمال السودان، وقد هاجر جدهم الخليفة علي في وقت باكر إلى شرق السودان للالتحاق بأحد مشائخ الختمية هناك وهو محمد عثمان تاج السر بن محمد سر الختم (ت سنة ١٩٠٣م)، وظل معه في منطقة سواكن إلى أن توفي، فغادرها إلى أم درمان حيث أصبح تلميذاً وأحد أتباع السيد عبد الله الميرغني (المحجوب) (ت سنة ١٩١٢م)، وظل الخليفة علي بأم درمان متصلاً بآل الميرغني وبمحبتهم إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى في العام ١٩٦٨م.

ويبدو أنه كان من المهتمين بالمعارف الإسلامية، خاصة فيما يتعلق بالتصوف، وله مؤلف في هذا العلم عنوانه: خلاصة التصوف، كما له مناقب كتبها عن أستاذه محمد عثمان تاج السر عنوانها: (سر السر في مناقب السيد محمد عثمان تاج السر).

أما ناسخ هذه المخطوطة فهو كما ذكر في تذييلها: (انتهت بيوم الجمعة الموافق ٥ رمضان سنة ١٣٤٧ هـ على يد كاتبها الفقير لله ورسوله عبد الرحمن بن أحمد، ومالكتها السيدة فاطمة بنت الأستاذ سيدي عبد الله المحجوب ميرغني، وعبد الرحمن بن أحمد هذا هو

كذلك أحد أتباع السادة آل بيت الميرغني، وقد كان تلميذاً للسيد أحمد الميرغني (ت ١٩٢٨م) وهو أحمد بن محمد عثمان بن محمد الحسن، وقد كانت له صلات بكسلا أكبر من أخيه السيد علي (ت ١٩٦٨)، وقد عاش في فترة الثورة المهدية بأم درمان في حال أشبه بحال الأسير، ولكنه وكما قيل عنه ظل طيلة حياته وحتى بعد نهاية دولة المهدية لا يذكرها بسوء، والسيد عبد الرحمن بن أحمد تلميذ السيد أحمد الميرغني، وهو أيضاً له اهتمامات علمية وقد أصبح أيضاً من أتباع السيد عبد الله المحجوب.

وقد نسخ هذا المؤلف لصالح السيدة فاطمة بنت السيد عبد الله ميرغني المحجوب توفيت في العام ١٩٤٨م، ووالدة السيدة فاطمة هي السيدة نفيسة بنت السيد محمد الحسن بن محمد عثمان (الختم)، والسيدة نفيسة هي ابنة سكينة محمد النصيح أي أنها اخت أحمد بن إدريس مؤلف هذا المخطوط وقد كانت فاطمة بنت عبد الله المحجوب تعد واحدة من أبرز سيدات البيت الميرغني، وقد ولدت بمدينة شندي في سنة ١٢٩٧هـ، وقد درست القرآن على يد ابن إدريس الرباطابي مؤلف هذا المخطوط، وعلى يد الخليفة المتوكل والاثنان لهما صلة قرابة بالبيت الميرغني، فهما أخوال أمها، كما درست كتب التصوف على يد أخيها السيد إبراهيم، وتزوجت من السيد علي الميرغني إلا أنها لم تنجب منه ذرية، والسيد علي بالإضافة إلى السيدة فاطمة تزوج زوجتين ثانيتين وواحدة من هؤلاء السيدات ليست من آل الميرغني، وهي نفيسة من أهل أمه الانقرياب ولم تنجب له شيئا، أما زوجته الثالثة فهي فاطمة بنت السيد جعفر بن السيد بكري بن جعفر بن محمد عثمان(الختم) ووالدتها السيدة زينب بنت السيد تاج السر بن السيد محمد سر الختم بن السيد (الختم)، وهي أم ابنائه أحمد ومحمد عثمان ونفيسة، وللسيد عبد الله المحجوب أبناء آخرين هم السيد إبراهيم المدفون في حلفا الجديدة – كما أشرنا إلى ذلك – وهو من أم غير سودانية من اليمن، لقد كان للسيد عبد الله المحجوب دور كبير في الطريقة الختمية إلا أنه كان يغلب عليه الجذب، وله أتباع عديدين خاصة في شمال السودان منهم الشيخ محمد علي العجيمي مؤسس الطريقة العجيمية وغيرهم، وقد حضر عبد الله المحجوب إلى السودان قادماً من الحجاز بطلب من السيد محمد الحسن بكسلا فلبث معه إلى أن توفي السيد الحسن فصلى عليه وحضر دفنه، أما ابنته السيدة فاطمة فلقد تولت بعض شئون الطريقة بعد وفاة والدها خاصة في منطقة أم

درمان، واشتهرت بأنها سيدة كريمة حريصة على العلم والتعليم، وقامت برعاية خلوة أبيها واستمرت كذلك إلى أن توفاها الله، وقد كتب بعض أتباع الختمية مناقب في سيرتها وحياتها يعددون مآثرها[1].

أما الدور الاجتماعي والديني الذي قام به هذا المخطوط فيتمثل في أن هذا المخطوط كان يقرأ ويتلى عند وفاة واحدة من سيدات البيت الميرغني وتتم قراءته عند الدفن.

(١) محمد الحسن عثمان إبراهيم الأموي، الحقيقة السافرة في حياة الشريفة الطاهرة (مخطوط)، الأصل بحوزة الأستاذة علي هاشم وبيدي صورة منه.

هذه مناقب السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين دنيا وأخرى وروح نبيك محمد المجتبي درة الوجود ومنبع الفيض والإمدادات بقيت الله بالله في أرضه وسماه آمين.

الخطبة[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم، به الإعانة بدءاً وختماً، وصلى الله على سيدنا محمد ذاتاً ووصفاً واسماً[2]، اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وسلطانك العظيم وحكمك القديم من النزغات الشيطانية، وأبتدي ببسم الله الرحمن الرحيم مستعيناً بحوله وقوته، فإنه المعين لمن استعانه والولي لمن استولاه، والحمد لله حمده به له منه وإليه كما يليق بحضرته العلية، إذ هو الحي القيوم العلي العظيم الذي لا يثني عليه حق ثنائه سواه، والصلاة والسلام على البيضاء والنور الأزهري محمد بن عبد الله سيد الرتبة الوجودية أبي القاسم أبي إبراهيم أبي الزهراء البتول حبيبة قلبه وأحشاه[3]، وأشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تفضي بقائلها إلى ذروة سنام المجد من الحضرة الأحدية، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله مجلي العظمة الإلهية الذي لا يبلغ ذراه، وبعد فقد أمرني من تجب على طاعتهما ولا تسعني مخالفتهما سيدي محمد عثمان [4] وسيدي أحمد [5] نجلي استاذي السيد محمد الحسن سمير المشاهد الإحسانية [6]، أن أجمع مناقباً على جدتهما فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وخزانة المدد المحمدي ومأواه، وذلك مرة بعد أخرى فترددت في ذلك لعظم الخطب بما أمرا به، وقلة الدراية وعدم الأهلية، ثم اعتمدت على بركة فيضهما المدرار، وأبيها المختار، وبنيها الأطهار، وقلت البلاغ على الله، ورتبتها على خمسة [7] فصول وخاتمة، الأول: نسبها والثاني: في ولادتها، والثالث: في زواجها وما ورد فيه، والرابع: فيما صح من فضلها

---

(١) هذا العنوان جعلناه بداية الكتاب وهو على عادة أهل زمانه تقريباً، وهو ليس في الأصل.

(٢) هذه ديباجة الطريقة الختمية وقد اختصت بها ومن الواضح أن واضعها هو السيد محمد عثمان الميرغني (الختم) الذي لم يستخدم ديباجة شيخه وأستاذه أحمد بن إدريس وهي في الغالب كانت عبارة عن التهليل الكبير ونصه: لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله).

(٣) المقصود وأحشائه .

(٤) ولد في ٤ مارس ١٨٤٨ م وتوفي في سنة ١٨٨٦م.

(٥) ولد في سنة ١٨٤٦م.

(٦) ربما كان من المناسب أن نقول إن هذا الأمر بكتابة هذا المخطوط تم بعد وفاة السيد الحسن والذي كانت وفاته في ١٨٦٩م.

(٧) في الأصل خمس فصول والصواب ما أثبتناه.

من الأحاديث وبعض الكرامات وما عول عليه بعض العلماء في أفضليتها وارتضاه، والخامس: في وفاتها وعمرها وما خلفت من الأولاد وما نسل منهم من الذرية وما قاله أكابر الأولياء فيما أدركته بعض وفاته ﷺ من المقام الأعلى ومحل قبرها على الراجح وما تمس الحاجة في الفصول الخمسة لذكراه[1].

(اللهم أدم ديم الرضوان عليها وأمدنا بالاسرار التي أودعتها لديها).[2]

(١) الصواب لذكره ، وجعلها هكذا لتتمشى مع السجع الوارد عند نهاية كل عبارة .

(٢) هذه لازمة تتكرر، المراد منها الدعاء ، وهي فاصلة بين كل موضوع والموضوع الذي يليه، وفيها تنبيه إلى الابتداء بموضوع جديد، وفيها ما يدل ايضاً على أنها - أي هذه المناقب - كانت تقرأ بشكل جماعي، وأنها إنما صنعت لتتلى وتقرأ في مجامع السادة الختمية ، وهذه الطريقة علي نهج مؤلفات الختمية في الأدعية والصلوات.

الفصل الأول: نسب السيدة فاطمة الزهراء (عليهاالسلام)

أقول هي رضي الله عنها وأرضاها وقدّس روحها من أول أزواجه خديجة الكبرى التي لم يرزق خيراً منها كما شافه به ﷺ الصديقية[1]، وحكاه ونسبها رضي الله عنها هو عين النسب الأعظم المحمدي المعروف المحرر في الآثار المروية، الذي هو سيد الوجود محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم إلى عدنان وإلى الذبيح إسماعيل وأبيه خليل الله وفيه قلت شعراً:

نسب علا فوق السماك[2] بفضله ... والمجد ثاوٍ وتحت وطأة ثقله

ما زال يرفل في برود النور ... والشرف العميم منزها في نفسه

تكسي المعالي من مواهب طوله ... حلل البهاء وتستقي من فضله

إلى وأقسم هو وبر صادق ... أنْ لا تجود الكائنات بمثله

قد حاز هذا الإعتلاء بمحمد ... إنسانه الأعلى بحضرة قدسه

نور الوجود ونعمة الجود الذي ... كل المجالي من أشعة شمسه

دهر الدهور وسابق النور[3] ... الذي عرض الوجود كذرة في عرشه

بيت التجلي الأقدس الذاتي النزيه ... المهلك الأشياء بناقد قد حكمه

حدث ولاحرج عن الشأن العلي[4] ... يا فلا تفي أبداً برفعه قدره

صلى عليه الله ماعنت الوجوه ... الكاملات من الوجوه لوجهه

وكذا عليه من السلام سلامة ... ماعطر الأكوان عابق نشره

والآل الأصحاب والأتباع ... ما عمت على الأكوان نعما طوله

(اللهم أدم ديم الرضوان عليها وأمدنا بالأسرار التي أودعتها لديها) ثلاثا[5]

---

(١) يعني بها السيدة عائشة رضي الله عنها ، ويشير إليها في موضع آخر بعائشة الصديقية .

(٢) أي في السماء.

(٣) في هذا أشارة لإيمانه بفكره النور المحمدي أو الحقيقة المحمدية، وهي فكرة قديمة توضح بداية خلقه صلى الله عليه وسلم وتفيد أنه صلى الله عليه وسلم كان نوراً في الأزل وانتقل بين الأنبياء إلي ظهوره صلى الله عليه وسلم ، وقد قال بهذا عدد من العلماء ، وأغلب مشائخ التصوف علي هذا المعتقد ، إلا أن الحديث الذي يدعم هذا الرأي فيه شك كبير من جانب علماء السنة والحديث.

(٤) جاءت في أصل المخطوط ، والصحيح أنها زائدة.

(٥) في الأصل (٣) والصحيح ثلاثا .

الفصل الثاني: في ولادتها ونشأتها

ولدت رضي الله عنها بمكة المشرفة قبل النبوة على أوفق الأقوال بخمس سنين عددية، وربت ونشأت تنشأ في كنف العز والحبور وترفل في قلايد النور إلى أن بلغت من سؤدد الشرف أعلاه، روي أن سبب بروزها من خزائن[1] الغيب إلى الحضرة الشهادية، أن الله تعالى أهداها له ﷺ على يدي جبريل في صورة تفاحة من الجنة كما قال الراوي وحكاه، فكان ﷺ يشم رائحة[2] الجنة من خديجة إلى أن وضعتها طاهرة زكية، وبعد ولادتها يقبلها ويشمها ويأنس بعرفها ويتهناه[3].

اختصها الله تعالى من بين بناته على صغرها بكثرة المحبة له والغرام به طبيعة وسجية، مزيد من الطاعة له والدأب على ملازمته ومباشرة أموره في كل ما يحبه ويرضاه، وكانت على حداثة سنها تدافع وتذب عنه ﷺ وتزيل أذى المشركين كما في واقعة سلا الناقة الذي وضعه عليه وهو ساجد أبو جهل ومن معه من الفئة الإشراكية[4]، فجاءت مسرعة وسبتهم بما يغيظ في قلوبهم ويحرق من العدو أحشاه[5] وأكادت[6] يوماً أبا جهل بالكلام حتى لطمها فأخبرت رسول الله ﷺ فأمرها أن تخبر أبا سفيان بن حرب بتلك الأذية، فعرفته فذهبت بها إليه وقال لها اقتصي منه فلطمته على وجهه في محافل المجالس وأشانت مراءه، ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله وسلم فأخبرته بما أكرمها به أبو سفيان من اقتصاصه لها من صاحب الطباع الردية، فدعا له ﷺ وقال: اللهم لا تنس ذلك لأبي سفيان، فآل أمره إلى الشهادة في سبيل الله[7]. وكانت والدتها خديجة تخصها بمزيد من المحبة والكرامة أكثر من جميع بناتها وتؤثرها بغاية المزية ، لما تراه عليها من المكارم الفائقة[8] والأداب والالتفات إلى جناب الله.

(اللهم أدم ديم الرضوان عليها وأمدنا بالأسرار التي أودعتها لديها) (ثلاثاً).

---

(١) في الأصل خزاين.
(٢) في الأصل رايحة.
(٣) يقصد يتهنى بها.
(٤) يعني جماعة المشركين.
(٥) يقصد يحرق أحشاء العدو.
(٦) الصحيح كادت.
(٧) لم أعثر له على تخريج.
(٨) في الأصل الفايقة.

الفصل الثالث: في زواجها وما ورد فيه

ولما بلغت من العمر نحو خمسة عشر سنة بعد هجرتها معه ﷺ إلى المدينة النورانية، خطبها أبو بكر الصديق وعمر الفاروق لم يرد عليهما ﷺ جواباً لما شاهده في ذلك ورآه[1]. وفي الآثار المروية: بينما ﷺ في المسجد إذ هبط عليه ملك من السماء لم ير[2] قبله مثله، فقال له: أنا أحد الملائكة[3] الموكلين بالقوائم[4]العرشية استأذنت ربي أن يخصني ببشارتك بجمع الشمل وطهارة النسل، وهذا جبريل على أثري مرسل إليك بذلك من الله، فما استتم كلامه حتى نزل جبريل عليه السلام فقال: السلام عليك يا رسول الله، ربك يقريك السلام ويخصك بالتحية، ووضع يده في حريرة بيضاء فيها سطران مكتوبان بالنور، فقال ما هذا ياجبريل؟ فقال له: إن الله تعالى قد اطلع على أهل الأرض فاختارك رسولاً للناس كافة تزكّيهم بنوره وهداه، ثم اطلع عليها ثانياً فاختار لك أخاً[5] ووزيراً [6] وزوّجه ابنتك فاطمة من فوق سبع سماواته العلية، فقال يا أخي يا جبريل من هو؟ فقال أخوك في الدارين وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب باب مدينة العلم[7] القانت الأوّاه، فدخل علي إذ ذاك فقال له ﷺ هذا جبريل أخبرني أن الله تعالى زوّجك بفاطمة في الملكوت الأعلى والمشاهد السنية، والخاطب إسرافيل والشهود جبريل وميكاييل والولي رب العزة جل جلاله وتقدست أسماؤه، فخرّ علي ساجداً شكراً لله وسروراً بهذه النعمة الإلهية، ثم خطب ﷺ خطبته المعلومة فقال: الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته ... إلى آخر خطبته المصححة عن الرواه، ثم قال إن الله تعالى أمرني أن أزوّج فاطمة بنت خديجة من علي بن أبي طالب فاشهدوا إني قد زوجته

---

(١) في الأصل رءاه.
(٢) في الأصل يرى.
(٣) في الأصل الملايكة.
(٤) في الأصل بالقوايم.
(٥) حديث النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: (أنت أخي وأنا أخوك) تجده في: الرياض النضرة: ٢: ١٦٨، كنز العمل ١٥٣/٦ باختلاف في اللفظ.
(٦) وهذا المعنى مأخوذ من الحديث: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلي تبوك وخلف علياً على النساء والصبيان فقال: يارسول الله تخلفني من النساء والصبيان ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أن لا نبوة بعدي) رواه الأئمة الحفاظ: البخاري ٣:٥٤ باب غزوة تبوك، صحيح مسلم ٤: ١٨٧ ط ١٣٧٥ ، صحيح الترمذي ٢: ٣١٠ مستدرك الصحيحين ، وجاء في صحيح البخاري – كتاب فضائل الصحابة باب (٩) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي:(أنت مني وأنا منك) ، وقال عمر توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض.
(٧) حديث (أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها) رواه ابن عساكر في تاريخ بغداد ٣٧٧/٢ ، وكذلك الحاكم في مستدرك الصحيحين ٣: ١٢٦ وقال فيه حديث صحيح الإسناد.

على أربعمائة مثقال من فضة إن رضي بذلك استيفاء للصفة الشرعية، وإلا فهو معلوم الرضا بذلك، فأجاب: برضيت وسجد كما مرّ آنفاً لما أنعم الله به عليه وأولاه[1] فقال ﷺ جمع الله شملكما وأسعد جدكما وبارك عليكما وأخرج منكما الكثير الطيب دعوات جامعة نبوية. قال أنس خادم رسول الله ﷺ ولقد بارك الله عليكما وأجزل عطاه، وأمر ﷺ بإحضار طبق من بسر وأمر الصحابة بالانتهال منه سنة دينية.

وفي حديث مسلم عن جابر حضرنا عرس علي بن أبي طالب وفاطمة بنت محمد فما رأينا عرساً أحسن منه فما أطيبه وأهناه، هيّأ لنا النبي ﷺ زبيباً وتمراً ثم دعانا للأكل بوجه طلق وصدر منشرح ونفس رضية[2]. وفي رواية الطبراني من حديث أسماء قال لما أهديت فاطمة إلى علي لم نجد في بيتها إلا رملاً مبسوطاً وجرة وكوزاً ووسادة حشوها ليف، فما أكرمه على الله من متاع وأرضاه[3].

ثم أرسل رسول الله ﷺ إلى علي يقول له لا تقرب أهلك حتى آتيكما، فجاء فدعانا بإناء ماء فسمى الله فيه وهمهم بكلمات خفية، ثم دعا علياً فمسح على صدره الفخيم ووجهه الكريم وسأل الله، ثم دعا فاطمة فجاءته تعثر في ثوبها من الحياة فنضح على رأسها وبين ثديها وقال اللهم أعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم[4] "الدعوة القرآنية"، فياله من دعاء، فما أحقه بالقبول وأرجاه.

وروي أن الله تعالى أمر ليلة زواجها جبريل وميكاييل والملائكة المقربين أن يحدثوا بالعرش والجنة أن تتزخرف والحور أن ترقص بعد أن تتزين بالزينة البهية، وأمر الطيور أن تغني، وأمر شجرة طوبى أن تنثر عليهم اللؤلؤ والرطب والدر الأبيض والزبرجد الأخضر والياقوت

---

(١) حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة بعلي ، فأشهدكم أني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي والحديث طويل، وفيه: (فتبسم عليه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: يا علي إن الله أمرني أن أزوّجك فاطمة فقد زوّجتكما على أربعمائة مثقالٍ فضة إن رضيت ، فقال علي (عليه السلام): قد رضيت يا رسول الله ، ثم إن عليا مال فخر ساجداً شكراً له تعالى، وقال الحمد لله الذي حببني إلى خير البرية محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله: بارك الله عليكما وبارك فيكما وأسعدكما وأخرج منكما الكثير الطيب) الحديث في الرياض النضرة ، ١٨٣ والصواعق المحرقة ٨٤- ٨٥ ذخائر العقبي: ٢٩ مرقاة المفاتيح ٥: ٥٧٤،[٢٠]

(٢) لم أعثر له على تخريج

(٣) الحديث طويل رواه الطبراني ، وفي حلية الأولياء ٢: ٧٥ وفي مجمع الزوائد ٩: ٢٠٧.

(٤) من حديث طويل ورد في حلية الأولياء ٢: ٧٥ ومجمع الزوائد ٩: ٢٠٧ وفيه : (ثم دعا فاطمة عليها السلام فقامت إليه وعليها النقبة إزارها فضرب كفاً من ماء بين ثدييها وأخرى بين عاتقيها وبأخرى على هامتها ثم نضح جلدها وجسمها ثم التزمها).

الأحمر[1] وكيف لا يكون ذلك وقد شرح به صدره ﷺ وفرح قلبه وقرت عيناه، وقد سألها ﷺ يوماً فقال لها: يابنية[2] ما عز المرأة؟ فقالت له على الفور: ألاّ ترى رجلاً ولا يراها ما دامت في الدنيا إلى أن تلقى الله، فقال ﷺ صدقت، فداها أبوها واستبانت شموخ همتها العلية، وأنفت نفسها عن الالتفات لغير الله والركون إلى من سواه.

(اللهم أدم ديم الرضوان عليها وأمدنا بالأسرار التي أودعتها لديها) (ثلاثاً).

(١) في حلية الأوليا ٥: ٩٥ وفي تاريخ بغداد ٤: ١٢٨ وفي أسد الغابة ١: ٢٠٦ وفي الرياض النضرة ٢: ١٨٤ بسنده عن أنس.

(٢) في الأصل (بني) والصواب ما أثبتناه.

الفصل الرابع: فيما ورد في فضلها من الأحاديث والكرامات وأقوال العلماء

شهد لها رسول الله ﷺ بالكمال المطلوب لدى الله تعالى من هذه النشأة الآدمية، فقال ﷺ : كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وفاطمة بنت محمد ﷺ[1] روي أنه دخل عليه الصلاة والسلام يوما فقال السلام عليك يا ابنتاه، كيف أصبحت؟ فقال: والله أصبحت وجعة أضرني الجوع مضرة قوية[2]، فبكى ﷺ وقال لها لا تجزعي فو الله إني ما ذقت طعاماً منذ ثلاثة أيام وإني لأكرم الخلق على الله، ثم ضرب بيده الشريفة على منكبها وقال لها: أبشري فو الله لقد زوّجتك سيداً في الدنيا والآخرة فاقنعي به فإنك سيدة نساء الجنة العلية[3]، فقالت له يا أبت كيف بمريم بنت عمران فقال لها فضلها على نساء (...) زمانها[4]، فلا يستبعد ذلك على الله.

وصح أنه إذ كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: يا أهل الجمع نكِّسوا رؤسكم[5]، وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد في الجنة المرضية، فتمر في سبعين ألف جارية من الحور العين كالبرق الخاطف لمن يراه[6].

وثبت أنه لما أنزل قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الأحزاب٣٣ جمع ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين ونفسه الزكية، ثم لف بالعباءة عليهم وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، واجعل صلواتك وبركاتك عليهم كما جعلتها على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في دنياه وآخره، قالت أم

---

(١) أخرجه البخاري في باب مناقب قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، الجزء الرابع، ط دار الفكر ١٩٩٤ ، صفحة ٢٥٢ ، وحديث (سيدات أهل الجنة أربع: مريم، وفاطمة، وخديجة، وآسيا ، في كنز العمال ٦: الحديث ٣٨٣٧ ومستدرك الصحيحين ٣ م ١٨٥ وذخائر العقبي: ٤٤ وذكره السيوطي في تفسير سورة آل عمران .

(٢) لم أعثر له على تخريج .

(٣) الحديث في بعض رواياته: (أفضل نساء أهل الجنة) إشارة إلى السيدة فاطمة عليها السلام، انظر الدرة اليتيمة ، مرجع سابق، ص٢٦

(٤) في الأصل عالمي .

(٥) في الأصل رءوسكم.

(٦) الحديث في الصواعق المحرقة ١١٣، ومستدرك الصحيحين ٣: ١٤٣، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ونصه: (إذا كان يوم القيامة قيل يا أهل الجمع غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت رسول الله فتمر وعليها ربطتان خضراوان).

سلمى رفعت الكساء لأدخل معهم فاجتذبه مني جذبة قوية، وقال إنك من أزواج رسول الله ﷺ على خير فاقنعي بما قسم الله لك[1] وأعطاك[2]. وثبت أنه ﷺ أرسل يوماً أبا ذر لعلي فوجد رحاة[3] السيدة فاطمة تدور بنفسها من غير أحد، فرجع فأخبر سيد البرية فقال له: يا أبا ذر علمت أن لله ملائكة موكلين بإعانة آل محمد فطوبى لمن كان الله وليه ومولاه.

وورد أنها خرجت ليلة من الليالي فوجدت ناقته العضبا، فقالت لها الناقة: السلام عليك يا (بنت) رسول الله، ألك حاجة أبلغها إلى أبيك فإني متوجهة إليه في العشية، فماتت الناقة في تلك الليلة وكفنتها بعباءة ودفنتها وقد تكلمت قبلها مع رسول الله بفصيح اللغات[4]. وقد اعتمد جهابذة العلماء العاملين من أهل الملة الإسلامية بأن فاطمة بنت محمد أفضل نساء العالمين حتى مريم بنت عمران، وقال السبكي في ذلك والحق أحق أن يتبع وعول عليه وارتضاه، ولذلك لما سئل[5] عالم المدينة إمام دار الهجرة النبوية مالك بن أنس في الفضل بين عائشة الصديقية وفاطمة فقال لا أفضل أحداً على بضعة رسول الله، فقد أمعنت النظر في إجابته رضي الله عنه فهمت من فحوى عبارته بديهة انسحاب فضلها على غيرها وامتيازها برتبة الأفضلية، فاقتدي يا أخي بأهل العلم الشرعي والأدب المرعي واليقين القطعي المنورة بصائرهم[6] بنور الله.

هذا وقد قال القطب الفرد الجامع سيدي أبو الحسن الشاذلي وكثير من الأولياء الصوفية بأنها هي التي تولت بعد وفاة رسول الله ﷺ خلافة الباطن[7]، وجلست على تخت القرب في حضرة القدس وذلك الكمال الذي شهد لها به في حياته وبشرها بحلول رباه، وأوّلوا تأخير الإمام علي (كرم الله وجهه) عن بيعة الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه إنما هو لما

---

(١) صحيح الترمذي ٢: ٢٠٩ ، مشكل الآثار ١: ٣٣٥، أسد الغابة ٢: ١٢ ، تاريخ ابن عساكر ٤: ٢٠٤ الدر المنثور ٥: ١١٩ ، صحيح مسلم ٢: ٣٣١ ، الرياض النضرة ٢: ١٨٨، الصواعق المحرقة ٨٥ . وفي صحيح الترمذي فضائل السيدة فاطمة – كتاب المناقب باب (٦٠) حديث رقم (٣٨٧١)، عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم جلل (أي غطى) على الحسن والحسين وعلى فاطمة كساء ، ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فقالت أم سلمة ، وأنا معهم يارسول الله؟ قال: إنك على خير).

(٢) في الأصل (وأعطاه).

(٣) في الأصل (رحات).

(٤) في الأصل (اللغاة).

(٥) في الأصل (سيل).

(٦) في الأصل بصايرهم.

(٧) يحاول الصوفية أن يجعلوا لهم أصلاً في الشريعة في رد الأمور الظاهرية إلى أمر باطني.

يشاهده علي من عدم تمام الخلافة الباطنية، فلذلك بادر بعد وفاتها لمبايعة أبي بكر الصديق وعاهده وأوفاه، وهذا الكلام يليق بمكانة علي ورتبته البهية، وأبرأ لساحته الكريمة من أن يتأخر لغير أمر يراه وهو باب مدينة العلم ووصي رسول الله[1].

(اللهم أدم ديم الرضوان عليها وأمدنا بالأسرار التي أودعتها لديها) (ثلاثاً).

(١) هذا مشابه لما يورده الشيعة من أن علي (عليه السلام) هو وحي النبي ﷺ، ويعتقدون بأنه الإمام بعد الرسول ﷺ وقد نصب علياً إماماً على المسلمين بأمر من الله تعالى وكان هذا في مكان يدعى (غدير خم). انظر العلامة الشيخ جعفر الهادي، الحقيقة كماهي، ط أولى بيروت ٢٠٠٥، ص١٥.

الفصل الخامس: في وفاتها ومحل قبرها وما خلفت من الذرية

توفيت رضي الله عنها وعنا يوم الثلاثاء لثلاثة خلون من رمضان وعمرها خمسة وعشرون سنة طاهرة مرضية، وذلك بعد وفاته ﷺ بستة أشهر[1] كما أسرها بذلك فسرت ببشراه، وذلك أنه رأى ما هي عليه من شدة الحزن والبكاء في حالة تعبه عليه أفضل الصلاة وأكمل التحية[2] فأدناها منه وكلمها في أذنها بأنها أول لاحقة به من أهل بيته ففرحت بقرب الاجتماع به وقرب لقاء الله، ولم يطب لها بعد انتقاله ﷺ عيش الحياة[3] الدنيوية، ولم تزل في مكابدة الأحزان والأسف إلى أن لحقت به في دار بقاه، وغسلها بعلها علي وكفنها ودفنها ليلاً بالبقيع على الراجح من أقوال العلماء المروية، وقبرها ظاهر يزار في قبة أهل البيت تنهل عليه الإمدادات وتنشر منه البركات لكل من أمّه وأتاه وأغاثها (وديم) بركاتها لهذه الأمة المحمدية أغزر من البحر الخضم وأسرع من إدراك البصر وأظهر من نور الشمس لمن يراه، ما استغاث بها ملهوف ولا التجأ إليها مكروب بأي مكان كان إلا فرج الله عنه الكرب قبل العشية، وأقر عينه بنيل المقاصد وإدراك المطالب كما يحبه ويرضاه، خلّفت من الأولاد الحسن والحسين ودرج المحسن سقطاً لتوفير الحظ به في الدار الآخروية، وأنسل الله من الحسن والحسين الكثير من الطيب نفعنا الله بهم والمسلمين أجمعين ورزقنا حسن مودتهم كما يحبه ويرضاه، ومن البنات زينب وأم كلثوم ورقية، وتفرد بذكرها بعض الرواة في السيرة المروية،

---

(١) وقيل توفيت بعده ﷺ بخمس وسبعين ليلة (رواه ابن عبدالبر في الاستيعاب) وقالوا بعده بستة أشهر قال به المدائني والواقدي ، ولم يقل أحد بأكثر من ثمانية أشهر وقيل ثلاثة ، انظر: الدرة اليتيمية وتحقيقها، مرجع سابق ، ص ٤١ أما عمرها عند موتها عليها السلام فقد قال الواقدي: (ماتت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة وهي بنت تسعة وعشرين سنة).

(٢) الحديث في حلية الأولياء ٢: ٤٠ وصحيح الترمذي ٢: ٣١٩ وجامع الأصول ٩: ٢٩ الحديث ٦٦٧٧ ، والبخاري ٦: ٦٢ باب علامات النبوة في الإسلام – وفي مسلم رقم ٢٤٥٠

(٣) في الأصل الحيات، وعن عائشة ام المؤمنين قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قالت وكان إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها، فلما مرض النبي ﷺ دخلت فاطمة فأكبت عليه فقبلته ثم رفعت رأسها فبكت ثم أكبت عليه ، ثم رفعت رأسها فضحكت فقلت إن كنت لا أظن ان هذه من أعقل نساءنا فإذ هي من النساء، فلما توفي النبي ﷺ قلت لها أرايت حين كببت على النبي ﷺ فرفعت رأسك فبكيت ثم أكببت عليه فرفعت رأسك فضحكت ما حملك على ذلك ؟ قالت إني إذاً بذرة (أي لا أكتم سراً) أخبرني أنه ميت من وجهه هذا فبكيت ، ثم أخبرني أني أسرع أهله لاحق به فذاك حين ضحكت) صحيح الترمذي، باب فضائل السيدة فاطمة، كتاب المناقب، حديث رقم (٣٨٧٢).

وقال توفيت صغيرة لم تبلغ العمر زمناً يطول مداه، وتزوج بأم كلثوم الإمام عمر بن الخطاب وولدت له ولم تعقب ذريتها منه بالكلية، ولا ولدت لمن تزوجها بعده من الأئمة الثقاة، وتزوج بزينب ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وولدت له ولد وأعقبت ذريتها ونمت وهم مشهورون بالجعفرية، زاد الله نسلهم وكثر جمعهم وضاعف عددهم ونماه، وقد ذكر أن معنى فاطمة هو أن الله فطمها وذريتها من النار الأخروية، فهم محرومون عليها على ما يكون منهم اختصاصاً[1] ربانياً وعناية من لدن الله، كيف لا وهم من سلالة بضعة النبي المصطفى وعروة الله الوثقى في المشارق والمغارب لأهل الملة الإسلامية تكشف عنهم بخوارق هممها ونافذ دعائها غيم البلاء تكفه وتتلقاه، ولهي في الدار الآخرة أعلى وأرفع وأبر وأنفع لمكانتها السامية العلية، إذ هي من أهل الوسيلة العظمى التي هي أعلى درجة في الجنة لا تنبغي إلا لرجل واحد وهو رسول الله، وهي ومن معها في أهل بيته في معناه[2]، فتمسك أيها العاقل بعراها، وتمسح بتراب ثراها، وتوثق بحبالها القوية، فالرابح الناجح من اتخذها عدة وادخرها لدنياه وأخراه، جعلنا الله والسامعين[3] والمسلمين أجمعين من أهل شفاعتها العمومية والخصوصية، وسقانا من سلسبيل مددها شراب المحبة الخالصة لله، شعر:

يا دوحة ما لها فخر يدانيها ... وجنة لا يرى في الدهر ثانيها
وروضة لا تسامي في العلى أبداً ... فالفضل في الكون مولى من مواليها
صالت وطالت فلا تحصى مآثرها ... فجنة الخلد معنىً من معانيها
يتيمة العقد تاج المجد سامية القدر ... العريض فلا ترق مراقيها
يا بضعة المصطفى المختار أحمد من ... هي الذخيرة أن تفنى الورى فيها
خزانة السر فيض البر مرحمة ... الرحمن أزكى بني الدنيا وما فيها
أعني بها درة الأنوار فاطمة ... بنت الرسول التي طالت أياديها

---

(١) في كنز العمال ٦: الحديث ٣٨٤٨، رواه الديلمي عن أبي هريرة ونص الحديث: (إن الله فطم ابنتي فاطمة وولدها ومن أحبهم على النار). وفي كنز العمال ٦: الحيث ٣٨٤٧ والخطيب في تاريخه بسنده عن ابن عباس:(ابنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث وإنما سماها الله فاطمة لأن الله تعالى فطمها ومحبيها من النار ، وعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن فاطمة أحصنت فرجها ، فحرمها وذريتها على النار) مستدرك الصحيحين ، ٣: ١٥٢ حلية الولياء ٤: ١٨٨ ، كنز العمال ٦: ٢١٩.

(٢) الحديث أخرجه البخاري ٣٧/٥٠/١٢ ، ١٢، ١٦، ٣٧ ، الجزء الرابع ، ص ص ٢٥٣ ، ٢٥٢

(٣) قوله: (والسامعين) فيه إشارة ثانية إلى أن هذه المناقب كانت تتلى بحضور جمع من الناس كما بينا في مقدمة هذا الكتاب.

لا يعهد البر إلا من ميامنها ... ولا يرى البذل إلا من نواحيها[1]

سادت نساء الورى بالنص قاطبة ... كذلك قال النبي المصطفى فيها

منها شموس سنا الأنوار ساطعة ... يغشي البصائر الأبصار جاليها

منها بدور على الأقطاب طالعة ... تجلي المعارف من صافي معانيها

كأنها البحر مدا في مواهبها ... تغيث من كرب الدارين راجيها

ما يممت قط في عسر ولا كدر ... ألا انجلى عجلاً من سحب ناديها

كأنها من أبيها مثل ما هو من ... مولاه فاقبض على استيضاح ما فيها

يا ربة الحسن والإحسان أجمعه ... هبي لنا نفحة كل الهدى فيها

وطهرينا من الأرجاس أجمعها ... وبؤينا من الحضرات قاصيها

وخوضينا بحور العلم من كنف السر ... المصون وجلي كشف خافيها

وجملينا بخير الضرتين ... د وحوز المشهدين ورقينا بعاليها

ربي بها وبابنيها وجدهما ... سر الكيان وراعيها وحاميها

وبعلها المرتضى بحر العلوم ... ونبراس الفهوم سنا الظلمى وجاليها

والآل والصحب والأملاك ... أجمعهم والأنبياء ومن يقفوا مساعيها

أفتح لنا رحمة من فضل فيضك ... نستدني بها من قطوف العلم عاليها

ونوال الكل منا غاية الأمل ... المرجو منك بمن نتلو مثانيها

واكفنا كل سوء أنت تعلمه ... دنيا وأخرى بأسرار سمت فيها

ولا تدع حاجة إلا وتقضيها ... وكل أنفسنا فضلاً تزكيها

وصل ربي على المختار ما تليت ... مناقب للورى تجلو مبانيها

في حق فاطمة الزهراء خير ... نساء العالمين التي طالت أياديها

والآل الصحب والأتباع ... ما تليث مثاني عز في الأكوان ثانيها

(اللهم أدم ديم الرضوان عليها وأمدنا بالأسرار التي أودعتها لديها (ثلاثاً).

---

(١) في الأصل نواميها ، وربما كان الصحيح ما أثبتناه.

الفصل السادس: في الخاتمة بالدعوات المرجية

ولما حقق الطالب عجزه، وتيقن قصره عن بلوغ أدنى مناقبها العلية فلترفعوا معاشر الحاضرين إذاً أكف الحاجة والافتقار والفاقة والاضطرار إلى الله، اللهم إنا نسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام، يا حي ياقيوم، يا ذا المواهب اللدنية، يا من لا تنفد خزائنه ولا تنقص مننه الواسعة جزيل عطاياه، ونتوسل اللهم إليك بحبيبك الأكرم ووسيلتك العظمى إليك لكل ذي حاجة من البرية محمد بن عبد الله، الذي ما استغاثك به جائع إلا أشبعته، ولا ظمآن إلا أرويته، ولا ملهوف إلا أغثته وفرجت كربه وعناه، أن تفتح لنا من رحمتك الواسعة التي لا ممسك لها أبواب الخيرات الدينية والدنيوية، وأن تطهر قلوبنا وتزكي نفوسنا وتقدس سرائرنا وتنور بصائرنا وتبلغ كلاً من الحاضرين[1] بعظيم فضلك غاية رجاه، وتعيذنا من الشيطان الرجيم ونفوسنا الأمارة وأهواءنا الظلمانية، وتجعلنا من أهل محبتك وعنايتك الذين سبقت لهم منك الحسنى حيث لا يبدل القول لدى الله، وتدني لنا من قطوف الآمال وتسقينا من رحيق اللذة بصالح الأعمال حتى نستوي على أرائك المراتب العلية، وتجعلنا من أهل وجودك وشهودك المحققين بحقائق لا إله إلا الله، وتيسر لنا من رزقك الواسع المبارك ما تريحنا من هموم هذه الدار الدنيوية، وتفتح لنا من باب العلم النافع اللدني ما تبلغنا به من اليقين أوثق عراه، وتتولى أمورنا عنا وعن كل أحد في الحركات والسكنات بعنياتك الربانية، حتي نكون بك في كل تقلباتنا فتخرجنا برحمتك من ظلمات نفوسنا إلى فضاء نور الله وتؤيدنا بالتوفيق الكامل، وتحققنا بالعفو الشامل في المواطن الغيبية والشهادية، ولا تدع لنا هماً إلا أفرجته، ولا غماً إلا كشفته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا عدواً إلا خذلته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها بفضلك يا الله.

وأجزل اللهم عطاءك الأوفر وفضلك الأكبر لمن كانوا السبب في إنشاء هذه المناقب الإحسانية، وبلغه من ساعته الآمال فيك ظاهراً وباطناً غاية مرامه ومرماه، ونسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وفعل ونية، ونعوذ بك من الفتن والمحن والآفات والعاهات والبليات ظاهراً وباطناً، ومن كل ما نخافه

(١) وفي هذا إشارة كذلك إلى ما ألمحنا إليه من قبل من أن هذه المناقب وضعت في الأصل لتتلى على مجامع الناس.

ونخشاه، ونسألك من كل خير سألك منه نبيك سيدنا محمد ﷺ ، ونعوذ بك من كل شر استعاذك منه نبيك سيدنا محمد ﷺ ، قبضة النور الأزلية، وأحسن اللهم عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وبلغنا من كمال الإيمان أقصاه.

اللهم بحرمة الحسن وأخيه وجده وأبيه وأمه وبنيه أن تتقبل منا وترحمنا ووالدينا ومشائخنا ومن أحسن إلينا والحاضرين والغائبين وسائر أهل الملة الإسلامية، اجعل آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ما اجتلت في مشكاة ذاته الكاملة مع الأنفاس أشعة الأنوار الذاتية وآله وأصحابه ما دارت الأفلاك وسبّحت الأملاك وقام الوجود بالله، سبحان ربك العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

انتهت بيوم الجمعة الموافق ٥ رمضان سنة ١٣٤٧ هـ على يدي كاتبها الفقير لله ورسوله عبد الرحمن بن أحمد، ومالكتها سيدتي السيدة فاطمة الزهراء بنت الأستاذ سيدي عبد الله المحبوب ميرغني رضي الله عنه ونفعنا بهم وبأسرارهم آمين.

مراجع ومصادر الدراسة

١ - أحمد بن إدريس بن محمد النصيح، الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية، الخرطوم، المكتبة الإسلامية ١٩٨٢م.

٢ - أحمد بن إدريس بن محمد النصيح، مناقب السيد محمد الحسن الميرغني أبو جلابية، ط ثانية، الناشر زغلول محمد الوطني (بدون تاريخ).

٣ - أحمد محمد أحمد جلي (دكتور)، طائفة الختمية وصلتها بالشيعة، ط أولى ١٩٩٩ م) (أغفلت الناشر).

٤ - أحمد محمد أحمد جلي (دكتور)، طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها، ط أولى (بيروت: دار خضر للطباعة والنشر ١٩٩٢م).

٥ - ابن حجر، الصواعق المحرقة، طبعة القاهرة ١٣١٢هـ.

٦ - ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، طبعة مصر.

٧ - الحاكم النيسابوري، مستدرك الصحيحين، أربعة أجزاء، طبعة حيدر أباد ١٣٣٤هـ.

٨ - الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ بغداد.

٩ - الحافظ علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي، تاريخ بغداد.

١٠ - الحافظ أبو نعيم الأصبهاني أحمد، حلية الأولياء، طبعة القاهرة.

١١ - المتقي الهندي، كنز العمل، ثمانية أجزاء، طبعة حيدر أباد.

١٢ - البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، حققه عبد العزيز بن عبدالله بن باز، الجزء الرابع، دار الفكر ١٩٩٤م.

١٣ - جعفر الصادق الميرغني، الديوان الكبير المسمى رياض المديح وجلاء كل ذي ود صحيح وشفاء كل قلب جريح في مدح النبي المليح ﷺ ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م.

١٤-جعفر الهادي ، الحقيقة كما هي، ط أولى، بيروت الواحة للخدمات الثقافية، ٢٠٠٥.

١٥ - عبد الله المحجوب الميرغني، تحريض الأغبياء على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء، ضمن الرسائل الميرغنية في آداب الطريقة الختمية، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (بدون تاريخ).

١٦ - علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزاوئد، ط ١، القاهرة ١٣٥هـ.

١٧ - علي بن سلطان القاري، مرقاة المفاتيح، طبعة مصر.

١٨ - علي بن الأثير، اسد الغابة، القاهرة.

١٩ - عبد العزيز أمين عبد المجيد (دكتور)، التربية في السودان والأسس الاجتماعية والنفسية التي قامت عليها، مجلد الوثائق من أول القرن السادس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر، ج ٣، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٩٤٩م.

٢٠ - طارق أحمد عثمان، الطريقة الختمية في السودان، إصدارات مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، ط أولى ١٩٩٨م.

٢١ - محمد إبراهيم أبو سليم (بروفيسور)، (تحقيق) كتاب في طريق أهل الله والسير به ساهل، لمؤلفه صاحب الربابة إسماعيل بن الشيخ مكي الدقلاش، الطابعون شركة دار الحكمة للطباعة والنشر (بدون تاريخ).

٢٢ - محمد إبراهيم أبو سليم (بروفيسور) (تحقيق) كتاب الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية، تأليف خليفة الخلفاء أحمد بن أحمد المشهور بابن إدريس الرباطابي، ط أولى، بيروت، دار الجيل، ١٩٩١م.

٢٣ - محمد النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، حققه وعلق عليه وقدم له بروفيسور/ يوسف فضل حسن، ط أولى، دار الطباعة، جامعة الخرطوم، ١٩٧١م.

٢٤ - محمد أحمد حامد، الختمية العقيدة والتاريخ والمنهج، ط ثانية، الخرطوم، دار المأمون ١٩٨٧م.

٢٥ - محمد سعيد الطريحي (تحقيق) كتاب الدرة اليتيمة في بعض فضائل السيدة العظيمة، لمؤلفه عبد الله بن إبراهيم ميرغني، ط أولى، بيروت، مؤسسة الوفاء ١٩٨٥م.

٢٦ - محمد الحسن محمد عثمان الأموي، الحقيقة السافرة في حياة الشريفة الطاهرة (مخطوط) بحوزتي نسخة منه.

٢٧ - محب الدين الطبري، الرياض النظرة، جزءان، طبعة القاهرة.

٢٨ - مسلم بن الحجاج الحافظ، صحيح مسلم.

٢٩ - يحيى محمد إبراهيم (دكتور)، مدرسة أحمد بن إدريس المغربي وأثرها في السودان، ط أولى، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٣م.

٣٠ - يوسف بن إسماعيل النبهاني، جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ ، الجزء الثاني، مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٠.

ملحق بعض الأحاديث الواردة في فضل فاطمة وعلي في كتب الصحاح

١ - **صحيح البخاري** - كتاب فضائل الصحابة (كتاب أصحاب النبي)

باب ٩- الحديث (قال النبي ﷺ لعلي: أنت مني وأنا منك، وقال عمر توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض).

قال النبي ﷺ لعلي: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، (وفي رواية للإمام مسلم) إلا أنه لا نبي بعدي.

وجاء في مسند الترمذي وصحيح مسلم قول النبي ﷺ : (أنت مني وأنا منك).

قال معاوية بن أبي سفيان (لما نزلت آية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾ آل عمران٦١، دعا رسول الله ﷺ علياً فاطمة وحسناً وحسيناً فقال لهم: اللهم هؤلاء أهلي، قال أبوعيسي هذا حديث حسن صحيح.

الحديث ذكره الإمام الترمذي في كتاب المناقب - باب ٢٠ حديث (٢٣٧٢٤) وفي نفس الباب أيضاً حديث رقم (٣٧٣٦) يقول فيه النبي ﷺ لعلي (إنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق).

٢ - **صحيح الترمذي** - فضائل السيدة فاطمة (عليها السلام) كتاب المناقب - باب٤٠

- قال ﷺ : (فاطمة بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما أذاها) حديث رقم (٣٨٦٧).

- عن عبد الله بن عطاء عن ابن بريدة عن أبيه، قال: (كان أحب النساء إلى رسول الله ﷺ ، فاطمة، ومن الرجال علي) حديث رقم (٣٨٦٨).

- عن عبد الله بن الزبير أن علياً ذكر بنت إبي جهل، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقال: (إنما فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما أذاها، وينصبني ما انصبها) حديث رقم (٣٨٦٩)، حديث حسن صحيح.

- عن أم سلمة أن النبي ﷺ ، جلل (أي غطى) على الحسن والحسين وعلى فاطمة كساء ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقالت أم سلمة: وأنا معهم يارسول الله.؟ قال: إنك على خير) حديث رقم ٣٨٧١ قال أبوعيسي حديث حسن.

- عن عائشة أم المؤمنين قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً في قيامها

وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، قالت: وكان إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها فقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبّلته وأجلسته في مجلسها، فلما مرض النبي ﷺ دخلت فاطمة فأكبّت عليه فقبّلته ثم رفعت رأسها فبكت، ثم أكبّت عليه، ثم رفعت رأسها فضحكت، فقلت إن كنت لا أظن أن هذه من أعقل نساؤنا فإذا هي من النساء، فلما توفي النبي ﷺ قالت لها: أرأيت حين كببت على النبي ﷺ فرفعت رأسك فبكيت ثم أكببت عليه فرفعت رأسك فضحكت ما حملك على ذلك؟ قالت إني إذاً بذرة (أي لا أكتم سراً) أخبرني أنه ميت من وجهه هذا فبكيت، ثم أخبرني أني أسرع أهله لحوقاً فذاك حين ضحكت) حديث رقم ٣٨٧٢ – حديث حسن غريب.

٣. **مسند الإمام الترمذي** كتاب المناقب الباب رقم١٩ (مناقب علي بن أبي طالب).

- عن النبي ﷺ قال: (من كنت مولاه فعلي ومولاه) حديث رقم ٣٧١٣.
- عن أبي سعيد الخدري قال: (إنا كنا لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب).
- وقال ﷺ : (لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن) قال أبوعيسي حديث حسن صحيح – حديث ٣٧١٣.
- قال رسول الله ﷺ : (علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي) حديث رقم ٣٧١٩.
- عن ابن عمر قال آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فجاء علي تدمع عيناه، فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك، ولم تؤاخي بيني وبين أحد، فقال رسول الله ﷺ : (أنت أخي في الدنيا والآخرة).

٤. **(مسند الإمام أحمد)**

- عن علي بن حسن رضي الله عنه عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ أخذ بيد حسن وحسين رضي الله عنهما فقال: (من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة) ص ٧٧ج ١.

رقم الإيداع
2006 / 599

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة

مناقب السيدة فاطمة الزهراء (رضي الله عنها):

تعود أهمية هذا المخطوط إلى عدة أمور، أبرزها أن كاتبه سوداني كتبه في القرن التاسع عشر في فترة حياة ابني السيد محمد الحسن الميرغني وهما السيد محمد عثمان الثاني (الأقرب) والسيد أحمد، وبناء على توجيه من السيدين الكريمين. إن اهتمام أحد العلماء الأجلاء السودانيين بمثل هذا الموضوع يدعونا إلى التأمل في قيمته وجدواه، فهذا المخطوط ربما كان أول مخطوط سوداني يتناول هذا الموضوع، إن لم يكن هو الأوحد في هذا الإطار، إن اهتمام السودانيين بالكتابة والتأليف في هذه المسائل ظل ضعيفاً – بشكل نسبي – إلى وقت كتابة هذا المخطوط ولم يظهر لدى العلماء عناية بالتصنيف في هذا المجال إلا على نحو محدود، وإن كنا نجد إشارات عامة لبعض المؤلفات التي كتبها السودانيون في فترات سابقة في كتاب الطبقات لصاحبه محمد النور بن ضيف الله ومحققه بروفيسور يوسف فضل حسن.

د. طارق أحمد عثمان

ردمك: ISBN: 99942-59-23-7

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة